

استراتيجية بناء المتخيل الروائي

- مقارنة بنيوية في رواية "الريح الشتوية" للكاتب المغربي مبارك ربيع-

The strategy of the novelisticimaginary- structural approach at the novel
« The winters wind » for the moroccan writer MEBAREK Rabie

د. رشيد سلطاني

جامعة تبسة

rach.dhia@gmail.com

ملخص

يروم هذا البحث الموسوم بـ: " استراتيجية بناء المتخيل الروائي: مقارنة بنيوية في رواية الريح الشتوية للكاتب المغربي مبارك ربيع"، التعرف على استراتيجية اشتغال الفعل السردي في رواية: "الريح الشتوية"، بواسطة حركتين زمنيتين متعاكستين: فعل التذكر من جهة، وفعل التوقع من جهة أخرى؛ حيث تنهض ذاكرة السارد أو الشخصيات المشاركة في بناء الحدث الروائي بالحركة الوجدانية الأولى نحو الزمن الماضي عبر فعل التذكر الذي يحدث بواسطة مجموعة من المحفزات، بينما تنهض ملكة المخيلة للسارد أو لغيره من الشخصيات ببناء الكون السردى في استطالته الزمنية نحو غياهب المستقبل عن طريق الإعلان أو الاستشراف الذي يأتي على سبيل الخبرة أو الأمل أو الحلم.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية، بناء، التذكر، التوقع، المتخيل، الرواية المغربية، الريح الشتوية، مبارك ربيع.

Summary

This research called: "The strategy of the novelisticimaginary- structural approche at the novel « The winters wind » for the moroccan writer MEBAREK Rabie", is for a purpose of the identification of how is the narrating act take place in the novel « the winter's wind » via two opposed temporal movements : the act of memorization in which the memory's narrator or the characters one take part to construct the novel's act using the first psychological movement toward the past time via the act of memorization which happens by certain motif, by certain motifs whereas the imaginary talent of the writer appears, or the one of characters in order to construct the narrative product in it's tomporal extension toward the futur's gloominess throughout the declaration or foresight which come as a result of experience, hope or dream.

Key words: strategy, the narrative structure, morrocan novel, MEBREK RABIE.

مقدمة:

إن قارئ النص الروائي الموسوم بـ "الريح الشتوية" للكاتب المغربي محمد ربيع، الذي يعود «إلى البدايات التأسيسية للرواية المغربية، حيث جعلت من الهم الوطني والاجتماعي قضية لها، ومدارا لموضوع اشتغالها؛ ليس فقط ككتابة، ولكن أيضا كنداء حميمي يحرض الذاكرة على المشاركة في الحقل الوطني، وذلك في امتداداتها القومية والتاريخية والحضارية»،¹ يلحظ أنبناء أحداثه لا يخضع للتسلسل الزمني الطبيعي، بل يشكل بنيةً حديثة مصاغة حسب الرؤية التي اختارها الكاتب، من خلال تموقع السارد في بنية الخطاياذ جعلهمهيمنا على الشخصيات من خلال توجيهها والعلم بأسرارها السابقة وطموحاتها اللاحقة، وهو النمط الأبرز حضورا في هذا النص الروائي المغربي، وهو ما أطلق عليه "جون بويون" مصطلح الرؤية من الخلف²، أو التبئير الصفر عند "جيرار جينيت"³.
منهذا المنطلق تتأسس رؤية البحث والتي مفادها أن الحكاية هي عبارة عن خليط من الأزمنة، يستطيع المبدع أن يعكسها من خلال رؤيته الفنية، فالفن هو الذي يستطيع أن يجمد الزمان في الآنية ويوقف سيولته ويحتويه بماضيه وحاضره في إطار متماسك.⁴

تكاد تُجمع النظريات البنيوية السردية على أن السرد إما أن يكون لاحقا، أو سابقا، أو مترامنا، أو مختلطا؛ والمقصود باللاحق أن يكون فعل السرد متأخرا زمنيا مقارنة مع وقوع الحدث؛ أي أن يكون السرد في الزمن الحاضر بينما يكون الحدث قد وقع في الزمن الماضي، وعليه سار أغلب السرد الإنساني، أمّا السابق فهو نقيض الأول؛ أي أن يتم سرد أحداث على سبيل الاستشراف والتوقع، وبالتالي يكون سردها قبل وقوعها، ويمكن أن يكون ذلك في روايات الخيال العلمي مثلا، أما المترامز فيكون فيه فعل السرد مواكبا وموازيا لوقوع الحدث مباشرة دون فاصل زمني، وعادة ما نجد ذلك في اليوميات، والروايات التسجيلية، وفيما يتعلق بالمتداخل فإن السرد يكون في أجزاء من الحكاية لاحقا، وفي أخرى سابقا، وفي البقية مترامنا، ونلفي هذا النوع من السرد في الروايات المركبة من عدة قصص، على سبيل التضمين أو التناوب، وهو ما أشار إليه شكولوفسكي في إطار بحثه الأنساق التقنية للحكي، التي تتراوح من منظوره بين نسقين هما⁵:

1- نسق التأطير: إذ توضع القصص القصيرة المستقلة داخل قصة قصيرة أخرى يفترض أن تلك القصص تشكل أجزاء لها.

2- نسق التنضيد: في هذه الحالة، تتتابع قصص قصيرة مستقلة كل واحدة عن الأخرى، لكي تصل فيما بينها شخصية مشتركة.

وللتعرف على البنية السردية لرواية ما يتعين على الباحث أن يميز بين زمنين: « زمن خاص بالكتابة، وهو زمن السرد... وزمن خاص بالأحداث، وهو زمن الرواية »⁶، أي أن يقارن الباحث بين ترتيب الأحداث في واقعيتها، وترتيبها بعد تضمينها في بنية السرد التي تتخذ لنفسها هيكلا فنيا جماليا يشد إليه القارئ بحضور عنصر

التشويق من خلال خرق أفق انتظاره.

ولهذا يعتبر اشتغال الذاكرة السردية من جهة، وفعل التوقع من جهة أخرى، أهم التقنيات البنيوية التي تعمل على تمطيط الحكاية الإطار إلى الماضي، وباتجاه المستقبل، وتحقيق المتعة الفنية التي تعتبر ديدن كل روائي يسعى إلى تحقيق شهرة عمله الإبداعي من خلال جمهور المتلقين، هذا الأخير هو الذي يؤثر على قبول هذا العمل أو رفضه من خلال معيار العدد الذي يستقبل هذه الأعمال الروائية.

من هذا المنطلق يأتي هذا المقال ليميط اللثام عن حيوية هذين العنصرين؛ أي الذاكرة، والمخيّلة، وإبراز دورهما في تشكيل البنية السردية لهذا النموذج من الكتابة الروائية المغربية.

أولاً - تقنية التذكر في رواية الريح الشتوية:

قبل أن نشرع في تتبع آليات التذكر عبر المسار السردى لرواية الريح الشتوية لابد أن نعرّج - أولاً - على دلالة مصطلح الذاكرة في الدراسات السردية إذ يذهب عبد الوهاب الرقيق - في سياق الحديث عن تقنية الاسترجاع والتي يفضل أن يسميها بالرجع - إلى أن الذاكرة تنهض بهذا الدور: «ذاتٌ زمنيّةٌ مضاعفةٌ: الماضي والحاضر، الأول كائن بالفعل لأن الإنسان لا يتذكر إلا ما فات، وهو أشبه بالهباءات أي بكتل صغيرة معزولة، لأن الذاكرة لا تستبقي منه إلا الحاسم المصيري الذي انتقش بصورة إرادية أو غير إرادية، أما الحاضر فكائن قوة وفعلاً؛ قوة لأنه شرط إحياء الماضي، وفعلاً لأن الماضي لا يكون إلا منعكساً على مرآة الحاضر»⁷.

انطلاقاً من التعريف السابق نقول إن الذاكرة آلية مهمة من آليات الاسترجاع، التي عادة ما ينبعث نشاطها بفعل مثير ما يحدث في الحاضر، فتستدعي ما حدث في الزمن الماضي ليصبح رهين الزمن الحاضر، ليس كما حدث فعلاً بكل تفاصيله بل على شكل هباءات أو ومضات متقطعة الأوصال، بسبب ما يعتري الذاكرة من نحو للتفاصيل الدقيقة والاحتفاظ فقط بما هو حاسم ومؤثر في عقل ونفس الشخصية المتذكّرة، وربما هذا ما رمت إليه الباحثة الألمانية كايتهمبرجير (Hamberger Kate) بقولها: إن التمثيل الحي يُدَاخِلُ ضمن الذاكرة الذاتية الإحساس القديم، ولكن ما إن يُعاد إنتاجه في الذاكرة وبها حتى يتماهى من جديد مع الإحساس الآني واللحظة الحاضرة لفعل التذكر⁸، وفي هذا الصدد يشير الباحث التونسي مصطفى الكيلاني إشارة مهمة إلى الألوان التي يصطبغ بها فعل التذكر، إذ: «يبدو فعل التذكر ألواناً متغايرة تتواصل في السياق السردى الواحد، تذكر الفرد وتذكر الآخر القريب من الأسرة وتذكر المجموعة، وبين السالف واللاحق وبين المنقضي والراهن توقيت، أي زمن مختلف، ووعي زمن مختلف أيضاً، وامتداد أسطوري رحب، وامتداد مكاني وسيع أيضاً، وآفاق من الحلم والتخييل يقابلها الحد، الوقف، الانحباس، الارتداد، الانزواء خوفاً من ضياع المعنى الكامل»⁹.

وقد أحصت الباحثة مها حسن القصاروي في كتابها الموسوم بـ: "الزمن في الرواية العربية" ثلاث محفزات تعمل على تحريض الذاكرة من أجل الاشتغال ومن ثم تأثيث البنية السردية، وتتمثل هذه المحفزات فيما يلي¹⁰:

1- اللحظة الحاضرة من أهم محفزات التذكر، بما تتضمنه من شخصيات وأحداث وأمكنة وأشياء تثير ذكريات الماضي، ولعل المقارنة بين الحاضر والماضي تدفع الشخصية إلى استحضار الماضي ورؤيته من منظور زمني جديد، وفق خصوصية التجربة الحاضرة ومدلولاتها.

2- الحواس التي تلعب دوراً أساسياً في تحفيز الذاكرة لتتم عملية الاسترجاع؛ فالرؤية البصرية لشخص ما أو شيء ما في الحاضر قد تدفع إلى استعادة الماضي، كما أن الرائحة والأصوات، وكل ما يمكن أن يثير حواس الإنسان قد يعمل على استحضار الحدث الماضي.

3- اللغة كذلك تعد من محفزات الاسترجاع، فمجرد لفظة ما قد تعمل على إثارة ذاكرة المستمع فتستعيد ما يرتبط بها مما حدث في الماضي.

وللبحث في البنية الروائية ونشاط الذاكرة في رواية الريح الشتوية نسوق كلاماً مهماً للباحثة أمينة رشيد مفاده أن: «الرواية إنتاج لوجود الماضي في حاضر الشخصيات، ويدل كل معمار للقصة على رؤية كاتبها جمالياً واجتماعياً، فالشكل في نظري يحمل منظور الكاتب ومفهومه للعالم»¹¹، من هذا المنطلق يعتبر شكل البنية السردية مهماً جداً في كشف رؤية الكاتب الجمالية، والاجتماعية، والثقافية، والإيديولوجية، والاشتغال على محور الزمن أهم المداخل التي يلج من خلالها القارئ إلى عمق البنية الذهنية للكاتب الذي يسلم عنان السرد إلى شخصية افتراضية ورقية - حسب تعبير رولان بارت - تتولى بصوتها تحريك الكون السردى اعتماداً على مجموعة من التقنيات أهمها على الإطلاق نشاط الذاكرة الواعية وغير الواعية.

والهدف من وراء هذا البحث رصد آليات الذاكرة والمخيلة في تشكيل البنية السردية التي اعتمدها الكاتب في بعث نشاطهما وتحريضهما ودفعهما للإنتاج، وفي الوقت نفسه إمطة اللثام عن المدلولات الخفية لهذا الفعل المقصود.

1- آليات الاسترجاع في رواية الريح الشتوية : تعتمد أغلب الروايات من نخط السرد اللاحق إلى

تنشيط الذاكرة لا لسد فجوة في الحكاية الإطار، بل للعودة إلى ماضٍ بعيد، عادة ما تدفع إليه مواقف الشخصية الرئيسة من الحاضر المتأزم، فتلجأ بذلك إلى استعمال أسلوب الهروب إلى الماضي في صفحاته المشرقة، تعويضاً وتنقيساً لها مما انتابها من ضغط نفسي يحاول أن يسجنها في شرنقتها؛ ففي رواية الريح الشتوية نقف عند مجموعة من النصوص التي يظهر فيها نشاط الذاكرة واضحاً وجلياً كما هو الحال في النص الآتي المسرود بضمير الغائب: « بدت سهرتهم عجيبة، ينبعث سحرها مرحة في الذكريات الحزينة، واللحن الكئيب، والعبارة المفجعة... أهى خمر الماضي أم شعلة الأمل تتقد فيهم من جديد... ويستجيب سعيد للطلب في حكايته مع الكلب... كان له يوم معركة البساتين شأن آخر، غير علي وعباس. لذلك يغادر القرية مباشرة، بل كان عليه أن يختبئ في مكان ينتظر الليل ليتسلل إلى بيت كلثوم، يخبرها بعزمه على الرحيل، ويعقد معها موعد اللقاء لمرافقتها»¹²؛ فالسارد العليم يطلعنا من خلال هذا المقطع السردى على الحركة الوجدانية لذاكرة الشخصيات المشاركة في بناء أحداث القصة

المروية، من خلال تلك السهرات التي يعقدونها في تلك الليالي الحالكة السواد سواد الحاضر المتأزم الذي لا مفر منه سوى الفرار إلى ذكريات الماضي الجميل.

وقد استمر الحاضر عبر المسار السردى لرواية الريح الشتوية في فرض مفعوله على الذاكرة باعتباره مشيراً لشجون الماضي كما نلفيه في هذا المقطع النصي: «وتحرك العربي تحت الغطاء، لعله يستلقي على ظهره أو على جنبه الأيسر، فهو لا يحتمل رقدة طويلة على الجنب الأيمن، منذ أن وخزه قرن الثور ذات سنة»¹³، فمعاناة الحاضر التي تمنعه من التلذذ بالنوم على جنبه الأيمن أيقظ جرح الماضي عن طريق فعل التذكر بسبب المأساة التي يعيشها أبطال الرواية.

وإذا كان الحاضر المتأزم مدعاة لحركة الذاكرة نحو الماضي كما مر بنا من خلال المثالين السابقين، فإننا نجد في نص مبارك ربيع ما يقف على النقيض من ذلك: «كانا في ساعة جد متأخرة من أول ليلة يضمهما فيها دفء مكان واحد مع ولديهما، وقد خمدت نار الشوق بينهما مؤقتاً بعد فورانه، استعدا في حديث مكرر حوادث السهرة، الجمع الذي ضمته ليلتهما هذه، ولعلمهما بالغاً بعض الشيء في التلذذ بما حدث وفي تكراره»¹⁴؛ فكما هو واضح في هذا المقطع، نجد الحاضر بحميميته يدفع الزوج العربي الحمدوني وقرينته صفية لاستعادة ما حدث خلال الساعات السابقة في سهرة الحمدوني مع أصدقائه من خلال حديثهما المتكرر والمتلذذ بما حدث أثناءها. ومن الدواعي التي تجعل السارد يخطط بنية المتخيل إلى الوراء عندما يكون بإزاء نقل خطاب مشهدي حدث في الزمن الماضي ربما دعت إليه رغبة طرف من الأطراف المتحاور في معرفة ما حدث أثناء غيابه، وهو ما نجد له حضوراً في الريح الشتوية، بعدما التحقت صفية بزوجها العربي الحمدوني، وأخذت تسرد عليه ما حدث بعد غيابه عن القرية: «انتهت فترة الشوق، وأتمت صفية حديث القرية. سردت عليه كل صغيرة وكبيرة كما حدث في شهور غيبته قبل أن تلحق به»¹⁵، وهنا نقول إن السؤال النابع من الرغبة في المعرفة هو الدافع لاستطالة السرد إلى الوراء لسد ثغرة معرفية في ذهن البطل.

وتمثل المقارنات التي نلفيها ضمن بعض النصوص الروائية بين الشخصيات على شكل مناجاة ذاتية مباشرة أو منقولة مبرراً لإضاءة الفوارق الشخصية بناء على تجارب الماضي، وهو حال صفية التي تريد من خلال الاسترجاع أن تضيء الفوارق بينها وبين زوجة كبور ابن عم زوجها العربي الحمدوني: «وكانت الغالية من أمثلة النحس وسوء الطالع في حكم صفية، ألم يبع كابور أراضيها قطعة قطعة منذ زواجه بها؟ ولو لم تعجل الشركة في القرية بالاستيلاء على ما تبقى من أرضه لَبَاعَهُ في نفس السنة. أَوَلَيْسَ البدء بما تبقى من أرضه في عملية استيلاء الشركة على أراضي القرية دليلاً على سوء طالع الزوجة... أما هي صفية بنت سويعد، فمن بيت الجاه والفضيلة رغم الفقر. وزوجها العربي من أعظم دار في القرية، اشترى بمقدمها عديداً من القطع الأرضية أضافها إلى ملكيته الواسعة، ولئن استولوا على جزء كبير منها في آخر ما استولوا عليه، فليس ذلك عن سوء طالع منها، ولا منه، ولكن تدبير مقدر»¹⁶، فمن خلال هذا النص يتبين لنا كيف كانت المقارنة الشخصية حافزاً لتحريض الذاكرة لإضاءة بعض السوابق الشخصية للطرفين المقارن بينهما.

ويعد تماثل المواقف محزواً آخر لاشتغال الذاكرة، كما يبينه النص الآتي: «و حين تلاقى أعينهما ويدهما في الوداع، حاصرهما شعور مشترك يعود إلى سنوات بعيدة، عندما وقفوا نفس الموقف متواجهين، وقد بدت حافلة السفر الكبيرة التي ستنقل كبور إلى المدينة مقبلة، وهما ينتظراها عند مشارف القرية، كانت زوجة كبور آنذاك بدأت تستعد وتلم بعض المتاع المحزوم تساعدتها صديقة. حدث ذلك منذ سنوات، وانبعث في هذه اللحظة نفس الشعور العارم أو أقوى»¹⁷، فالمواقف الوجدانية التي تعايشها الشخصية في الزمن الحاضر سبب مهم لانبعاث مواقف مشابهة حدثت في الزمن الماضي، الأمر الذي يدفع الذاكرة للاستجابة التلقائية، وبالتالي يتدفق السرد التذكري. وتعتبر العلامات الجسدية عاملاً آخر لا يقل شأنًا عن الدوافع السابقة لتحريض الذاكرة السردية، ولعل ذلك بيّن في الخطاب الذي ساقته شخصية موهوب بضمير المتكلم في إطار لقاء جمعها بالعربي الحمدوني: «تبارك الله، تبارك الله. أنا اسمي موهوب... بانتي لي في وجهك وإشارتك علامة فكرتني في والدي الله يرحمو. يشبهك تماماً.

وتأسف العربي للذكرى. قائلاً:

-الله يجدد عليه الرحمت. مات هنا؟

- لا مات في البلد وأنا صغير، وتبعته الوالدة الله يرحمها... ومن ثمّ، الفرنسييس أخذوني وربوني مع كثير من أولاد البلد، ودخلونا للمدرسة والعسكر...»¹⁸، فالعلامة التي كانت موجودة على وجه الحمدوني كانت سبباً في استحضار صورة والد الشخصية المقابلة وهي شخصية موهوب، عن طريق قرينة المشابهة، ما أدى إلى إضاءة ظروف وفاته، وكيف تربى بعد ذلك وتعلم عند الفرنسيين وأدّى واجب التجنيد.

وتلعب الرائحة دوراً في إثارة الذاكرة، وهو ما يحضر في هذه الرواية من خلال هذا المقطع النصي: «ومن تحت الحصير، تلتقط الأنوف الحساسة ريحاً مألوفة لأرض مبلطة يدعو ذكريات غابرة»¹⁹، وبدورها فإن الأحاسيس المعاكسة تنخرط هي الأخرى في هذه الاستراتيجية البنائية، يقول السارد: «وبدا العربي يتحرك مقترباً من الرجل محاولاً أن يفتتح معه حديثاً سائعاً: الحال سخن، وتشاءب الحارس وهو يرد: - سخن على المغطي في داره... أما تبريدة كانت قبل الفجر»²⁰، فحديث العربي مع حارس سوق الحبوب عن ارتفاع درجة حرارة الجو دفع الحارس إلى إبراز ما يناقض هذا الحكم خاصة مع وقت الفجر ذي النسمات الباردة، وذلك بهدف إبراز معاناته من حراسة بضائع التجار أثناء الليل، وأيضاً يحضر مفعول الرائحة كباعث لنشاط الذاكرة في قول الكاتب على لسان السارد الملاحظ: «وظفّق العربي يتفحص الأشجار والزهر، وثبتت عيناه على أغصان الكرمة التي تظللها ثمار التين مكثرة خضراء، تخالطها دكنة مبشرة بعطاء لذيذ في أجل قريب، إن للتين رائحة يعرفها العربي جيداً وهي تملأ أعماق خياشيمه الآن، ولها طعم أحسن أن تذوقه، ولها ذكريات غابرة في نفسه منذ عهد الفتوة...»²¹. فرائحة التين تثير رغبة لدى العربي تذكره بتلك الأيام الغابرة في القرية، التي كان يتلذذ فيها بطعم التين، وحلاوة مذاقه.

و يلعب الصوت إلى جانب الرائحة دورا مهما في التقهقر بزمان السرد إلى الماضي: « وراحا يدخنان بهدوء يخالطه سعال متقطع للحارس العجوز. وعلق العربي كأنه يكتشف ذلك لأول مرة، وينبه إليه:

- بابا عبد القادر... هذا برد عندك.

وردّ الحارس مؤيدا ذلك:

- برد وقدم من أيام البحر... تعرف... البحري، دائما عريان وسخون، ما يخاف من شتاء ولا من ريح... ولكن... يعقد على البحر يمرض... هذي بالتجربة ما فيها شك...»²² ، فسعال بابا عبد القادر كان دافعا لفضول الحمدوني في معرفة الحالة الصحية لصاحبه، وهو ما أدى إلى سرد ماضي هذا المرض، وذلك بذكر أسبابه المتمثلة في مفعول هواء البحر أيام اشتغال بابا عبد القادر كبشار.

2- تقنية التوقع والاستباق في رواية الريح الشتوية: بداية الحديث في هذا العنصر ننوه إلى ما قاله

القديس أوغسطين بشأن حديثه عن الزمن من منظور نفسي، حيث جعل من الزمن كله حاضرا، ومن ثم قسّمه إلى: حاضر من الماضي بالتذكر، وحاضر من الحاضر بالانتباه، وحاضر من المستقبل بالتوقع²³، فالتوقع استجلاب للمستقبل ليدخل في دائرة الحاضر عن طريق فعل السرد.

إذ يعتبر التوقع آلية مهمة في استباق الأحداث واستشراف ما هو آت، وتلعب المخيلة دورا هاما في تجسيد السرد الاستباقي، وتحيينه في الزمن الحاضر، وقد تمثل مبارك ربيع هذا النوع من السرد في استطالته نحو المستقبل، ويمكن أن نقف عند مجموعة من النصوص التي تجسد هذا الفعل السردى، مقتبسة من المدونة التي تمثل عينة هذه الدراسة، معتمدة تقنية الاستباق الإعلاني تارة، والاستشراف التنبؤي تارة أخرى.

أ- الإعلان: وهو آلية من آليات الاستباق الداخلي، يوظف، عادة، لإخبار القارئ بوقوع حدث يحتاجه السارد الآن لمعقولة حدث آخر، وهو يحتوي بالضرورة على معلومات صحيحة على حدث وقع أو بصدد الوقوع. وقد طغت هذه التقنية في نموذج الدراسة فيما يُعرف بالاستباقات الداخلية، وذلك كما يلي:

إعلان السارد بضمير الغائب عن عراك سينشب بعد قليل بين رجلين، وهذا كما ينطق به النص الآتي: «... لكن وقفته هذا الصباح تعني أنه كان يعاني شعورا بأن قطع الشجر هو تقطيع لذاته هو واجتثاث له. كل شجرة ذكرى وتاريخ وغلاقتها للجميع... اتضح أن مشهد عراك سينشب بين الرجلين، فابتعد العمال تاركين فسحة معقولة لذلك، ولعل رغبة الأفاقين منهم في مشاهدة العراك غلبت رغبتهم في الشغل. أما فريق الأهالي فقد كانوا من دون شك نهباً لمشاعر شتى»²⁴. فاعتماد السارد أسلوب الإعلان المؤكد، بتوظيف الفعل المضارع المسبوق بسين الاستقبال لحدث قريب الوقوع؛ كما هو الشأن بالنسبة للفعل "سينشب"، يعتبر من أهم التقنيات والأساليب السردية الاستباقية، التي تعمل على استطالة العمل الروائي.

ويحضر الإعلان كذلك حينما يرد ضمن نص استرجاعي، يوضح عادات الفلاحين كل موسم: «هَمَّ واحد يجمعهم: توقع محصول السنة ليدبروا أمر ما عندهم من رصيد. وفترة ما قبل الموسم الجديد. هي أخرج ما يمرون به من أوقات، إذ على ضوء ما يتوقعون يتخلصون أو يتمسكون بما تحت أيديهم، مثل أن يغمروهم المحصول الجديد»²⁵. فمن هذه العادات التي دأب الفلاحون عليها تلك التي تتعلق بموسم الحصاد الذي سيوافق توقعاتهم أو قد يعاكسها، خاصة وأن الأمر مرتبط بما ستجود به السماء كل موسم.

ويعد التساؤل من الأساليب الإعلانية غير المباشرة التي يوظفها السارد من أجل إخبار المتلقي بالمنعطفات التي ستحدث في قابل الصفحات: «تري عن أي هول سوف تتكشف الأيام»²⁶؛ فالهول الذي تساءل بشأنه السارد في هذا النص يتمثل في سحابة الحرب العالمية الثانية التي شهدها العالم في تلك الفترة التي تجري فيها أحداث القصة المروية.

وهناك قرائن زمنية تستعمل في الاستباقات الإعلانية منها ما ورد في هذا النص: «ومع تقدم الليل، يبدأ العمال الذين ينتظرهم قيام باكر في صباح الغد. فينصرفون لأخذ قسط من الراحة»²⁷؛ فالغد من القرائن الزمنية التي وُظِّفَتْ في هذا النص للإعلان عما ينتظر العمال في صبيحته.

وما تجدر الإشارة إليه أن الاستباقات الإعلانية ليست دائما صادقة، بل إن بعضها يأتي به السارد لمراوغة المتلقي وتضليله، ولعل ذلك حاضر في هذا النص: «... فوضعت المرأة جانبا ومسدت جنبها وهي تردد التعاويذ، قبل أن تعود لانشرائحها وإتمام زينتها. سيكون العربي الحمدوني شاكرا مسرورا، هذا المساء»²⁸، ويبان ذلك أن صفية زوجة الحمدوني قامت بواجب التزين لزوجها حتى يكون استقباله إياها في مستوى ما يزيل أتعاب العمل ويذهب وطأته، ولكن في ما يأتي من الصفحات يخيب انتظار القارئ لأن هذا الاستقبال لم يأت، والسبب هو وفاة العربي الحمدوني.

ب - الاستشراف: يأتي ملتحما بالسرد، مشحونا بأحلام الشخصية، وعواطفها، ونواياها المتعلقة

بالزمن القادم، وتدل عليه مجموعة من القرائن كما توضحه الشواهد المستقاة من رواية الريح الشتوية

إذ يمثل الأمل نوعا من الاستشراف الذي تمارسه الشخصية الروائية، على غرار شخصية العربي الحمدوني الذي لم يفقد هذا الأمل في العودة إلى قريته ويلتئم شمل أسرته من جديد: «والعربي الحمدوني اليوم غيره بالأمس، فأسرته بجانبه، والأمل الكبير أن يجتمع الشمل الكبير يوما ما بالعودة إلى تربة القرية»،²⁹ هذا الأمل لم يكن حبيس أعماق الحمدوني بل تفشَّى في قلب كل مغربي يعاني من هذا الحاضر، وبالتالي كان ملاذهم الوحيد هو الأمل في تغيير هذا الواقع المرير: «لم تعد الأيام تحمل جيذا، وإن كانت الأعماق تنتظر جيذا في يوم ما، على مدى طويل»³⁰.

ويلعب الحلم كذلك استراتيجية مهمة في بناء المتخيل الروائي عن طريق القفز بزمن السرد إلى المستقبل المأمول من طرف الشخصية التي تعاني من ضغوط الحاضر، كما مر بنا سابقا، يقول السارد المثير لشخصية الحمدوني تبئيرا في الدرجة الصفر: «وَرَنَا إلى حمرة الغروب الباهتة في الشفق، ولعله لمع في أفقها موقفه في البيدر وروائح المحصول

تضوعت حوله، وثغاء وخوار ونباح يتعالى من كل فج منحدرًا نحو الدوار، كأنه طلائع الفاتحين، والتفت العربي خلفه كأنه بالفعل سيرى أدخنة متفرقة، تتسامى من البيوت والأكوخ، مفتوحة مساء القرية»³¹، فالعربي الحمدوني من خلال هذا النص يدخل في دائرة الحلم، والكشف عن المستقبل؛ الذي جاء موافقا لأهوائه، وأحلامه في غد أفضل تعود إليه أملاكه التي اغتصبها المحتل الغاشم.

وهناك نوع آخر من الاستشراف الذي يكون قريبا من الحقيقة المعاشة، وذلك حينما يكون مؤسسا على معطيات مستمدة من الخبرة السابقة، كما هو الشأن فيما يحكيه هذا المقطع السردى: «وسمع العربي باهتمام كل ما ألقى إليه، فصديقه المحامي نفسه تتوافر له أملاك كثيرة في المدينة والضواحي، أراضي شاسعة مجاورة للبحر، مردودها الفلاحي محدود في الوقت الحاضر، مجرد أنها لم تجد يدا قوية عاملة تعتني بها، كيد العربي مثلا، على أن هذه الأراضي بعد سنوات معدودات، سترتفع قيمتها بما يفوق الذهب. مع التوسع المستمر للمدينة وموهوب غير راغب في الاحتفاظ بهذه الممتلكات، لأنه يعد مشروعا للعودة إلى وطنه، وهو لذلك يعرضها على العربي للبيع، وبكل التسهيلات، وبأرخص الأثمان، يؤديها من جملة ما سيحصل عليه من تعويض... إنها فرصة العمر إذا ما قدرت حق قدرها»³²، فالمحامي الذي تولى التكفل بقضية العربي الحمدوني قدم عرضا مغريا لموكله من أجل غلق ملف قضيته الشائكة، ويتمثل هذا العرض في تملكه أراضي الموجودة بالدار البيضاء، مقابل تخليه النهائي عن المطالبة بأراضي الموجودة في القرية، وقد أسس المحامي عرضه هذا على ما ستكون عليه القيمة المالية لهذه الأراضي في المستقبل القريب، انطلاقا من خبرته في مثل هذه الأمور.

خاتمة: وفي ختام هذا المقال نستطيع أن نخصي أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث عن طريق المقاربة

النبوية، وهي:

- 1- إناشتغال الخطاب السردى في رواية الريح الشتوية لمبارك ربيعيعتمد تقنيات زمنية نبوية، من خلالالامتداد والاستطالة من جهتين: جهة الماضي عن طريق اشتغال الذاكرةوصوب المستقبل عن طريق التوقع.
- 2- إن استراتيجية الاستطالة نحو الماضي الذي تنهض به الذاكرة يحصل نتيجة مثيرات متعددة أهمها:
 - الموقف الرافض للحاضر والهروب إلى الماضي من خلال آلية المقارنة.
 - تماثل مواقف الحاضر مع مواقف الماضي.
 - العلامات الجسدية، الرائحة، الصوت.
- 3- وفيما يخص استراتيجية الاستطالة نحو المستقبلالذي تنهض به المخيلة عنطريق فعل التوقع فإنه يتم وفق آليات أهمها:
 - الإعلانات المسبقة المقترنة بقرائن لفظية دالة على المستقبل،ولا تأتي الإعلانات صادقة دائما بل قد تكون كاذبة لغرض في جمالي وهو خرق أفق انتظار القارئ.
 - الاستشراف المؤسس على الخبرة أو الأمل أو الحلم.

4- إن هاتين الاستراتيجيتين أهم أليات تشكيل البنية السردية وهو ما يدفعنا إلى القول بأن الرواية هي فن زمني بامتياز بل إنها في أساسها تشكيل خاص للزمن.

الهوامش والإحالات:

- ¹ أحمد بن شريف، المتخيل في الرواية المغربية- مقارنة تحليلية لرواية الريح الشتوية، مطبعة أطوبريس، طنجة، المغرب، ط1، 1999، ص04.
 - ² J. Pouillon : *Temps et Roman*, ed : Gallimard, Paris, 1993, p76.
 - ³ G. Genette : *Figures III*, éd : Seuil, Paris, 6ed, 1972 , p206.
 - ⁴ ينظر: محمود طه محمود، القصة في الأدب الإنجليزي، دار القومية للطباعة، القاهرة، 1966، ص 161.
 - ⁵ مؤلف جماعي، نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلايين الروس، تر: ابراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناسرين المتحدين/ مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت/الرباط، ط 1، 1982، ص ص142-146.
 - ⁶ وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 15.
 - ⁷ عبد الوهاب الرقيق، في السرد (دراسات تطبيقية)، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، ط1، 1998، ص 87.
 - ⁸ Voir : Hamberger Kate : *Logique des genres littéraires*, Seuil, Paris, 1986, p101.
 - ⁹ مصطفى الكيلاني، زمن الرواية العربية، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2003، ص 48.
 - ¹⁰ ينظر: مها حسن القسراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص ص 202-203.
- وحيثما نتحدث عن الذاكرة ووظيفتها في انبعاث النص السردى عموما، والروائي خصوصا، فإننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن الإشارة الحسنة التي أومأ إليها عبد الوهاب الرقيق بخصوص أنواع الذاكرة عند الشخصية السردية؛ حيث ميز بين ثلاثة أنواع، هي:
- 1- الذاكرة المفكرة: هي ذاكرة الراوي الموضوعية، والمحايدة، يغلب على استجلائها للماضي نسق التابع المطرد للوحدات، إنها سجل الشخصية القصصية يحفظه الراوي ويحتفظ به.
 - 2- الذاكرة الحاملة: هي ذاكرة الشخصية الذاتية، نسقها التابع تارة، والتداخل تارة أخرى، وذلك حسب الدرجة الانفعالية التي تكون عليها الشخصية لحظة [الاسترجاع] ، غير أن للراوي عليها عينا رقيقة.
 - 3- الذاكرة الهذيانية: وهي ذاتية لأن الراوي هو الشخصية، يقوم نسقها غالبا على التداخل، إنها المرادف الضدي للذاكرة الموضوعية، هذه تعتمد إلى تركيب الوحدات القصصية حوار [بعضها] متجهة صعودا على المحور الزمني، مرقمة الأحداث حسب منطق علمي صارم، بينما تبحر تلك في الماضي بغير بوصلة، فإذا التشويش سمة زمنها، والفوضى صفة خطابها القصصي، والوعي المرضي محتواها التخيلي. ينظر: عبد الوهاب الرقيق، في السرد (دراسات تطبيقية)، مرجع سابق، ص 87.
- ¹¹ أمينة رشيد، تشظي الزمن في الرواية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 9.
 - ¹² مبارك ربيع، الريح الشتوية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ص ص 40-41.

¹³ المصدر نفسه، ص 43.

¹⁴ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁵ المصدر نفسه، ص 46.

¹⁶ المصدر نفسه، ص 47.

¹⁷ المصدر نفسه، ص 91.

¹⁸ المصدر نفسه، ص 97.

¹⁹ المصدر نفسه، ص 100.

²⁰ المصدر نفسه، ص 103.

²¹ المصدر نفسه، ص 110.

²² المصدر نفسه، ص 105.

²³ ينظر:

Saint-Augustin: confessions, Tome2, société d'édition les belles lettres, Paris, 1969, p314.

²⁴ الريح الشتوية، ص 35.

²⁵ المصدر نفسه، ص 107.

²⁶ المصدر نفسه، ص 115.

²⁷ المصدر نفسه، ص 130.

²⁸ المصدر نفسه، ص 173.

²⁹ المصدر نفسه، ص 48.

³⁰ المصدر نفسه، ص 100.

³¹ المصدر نفسه، ص 108.

³² المصدر نفسه، ص 123.

مصادر البحث ومراجعته:

أولاً- مصدر البحث:

1. مبارك ربيع، الريح الشتوية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977.

ثانياً- المراجع العربية والمترجمة:

2. أحمد بن شريف، المتخيل في الرواية المغربية- مقارنة تحليلية لرواية الريح الشتوية، مطبعة أطوبريس، طنجة، المغرب، ط1، 1999.

3. أمينة رشيد، تشظي الزمن في الرواية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

4. عبد الوهاب الرقيق، في السرد (دراسات تطبيقية)، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، ط1، 1998.

5. مؤلف جماعي، نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلايين الروس، تر: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين

- المتحدين/ مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت/الرباط، ط 1، 1982.
6. محمود طه محمود، القصة في الأدب الإنجليزي، دار القومية للطباعة، القاهرة، 1966.
7. مصطفى الكيلاني، زمن الرواية العربية، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2003.
8. مها حسن القصاروي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.
9. وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

ثالثا- المراجع الأجنبية:

- 10- G. Genette : *Figures III*, éd : Seuil, Paris, 6ed, 1972.
- 11- Hamberger Kate : *Logique des genres littéraires*, Seuil, Paris, 1986.
- 12- J. Pouillon : *Temps et Roman*, ed : Gallimard, Paris, 1993.
- 13- Saint-Augustin: *confessions*, Tome2, société d'édition les belles lettres, Paris, 1969.